ملامح التماسك النصي في علوم القرآن
قراءة في كتاب " البرهان في علوم القرآن " للزركشي
Features of Textual Coherence in the Quran Sciences
A study of al-Zarkashi's book *al-Burhan fi Ulum al-Quran*

وليد بوجلال [1]
[1] جامعة الحاج لخضر باتنة 1 (الجزائر)، walid.boudgellal@univ-batna.dz
مخبر المتخيل الشفوي بين حضارة المشافهة من جهة وحضارتي الصورة والكتابة من جهة أخرى

تاريخ الاستلام: 2021/07/06 تاريخ القبول: 2021/11/13 تاريخ النشر: ../2021/12

ملخص:
تهدف هذه الدراسة إلى البحث عن ملامح الممارسات النصية في التراث العربي من خلال مبدأ التماسك النصي ، وقد تناولت كتاب (البرهان في علوم القرآن) للزركشي دراسة وتحليلا في ضوء لسانيات النص ، وعرضت قضية تماسك النص القرآني من خلال علم المناسبات، وتوصلت إلى بيان الآليات التي يتحقق بها ارتباط آي القرآن الكريم عند علماء القرآن .
كلمات مفتاحية: التماسك النصي ؛الاتساق ؛ الانسجام ؛ علوم القرآن ؛ علم المناسبات .

Abstract:
This study aims to explore the features of textual practices in the Arabic heritage through the principle of textual coherence. Thus, in light of textual linguistics, the study discusses al-Zarkashi's book entitled: *al-Burhan fi Ulum al-Qura'n*. The study presents the question of the Quranic-text coherence through the Munasabah science. The study results have revealed the mechanisms by which the Quranic verses are related to each other from the perspective of Quran-science scholar's.

Keywords: textual coherence; consistency ; harmony ; Quran science; Munasabah science.

المؤلف المرسل: وليد بوجلال ، **الإيميل:** Walidboudjllel@gmail.com

1. مقدمة:

إن تماسك النص القرآني وارتباط أجزائه بعضها ببعض قضية عرضت في كتب علوم القرآن قديما،ومثلت مظهرا من مظاهر إعجازه، فعلماء القرآن أولو كتاب

الله عز وجل عناية خاصة، فعكفوا على دراسته واستنباط مواطن الإعجاز فيه، إذ يرون أنه و كالكلمة الواحدة متسقة المباني منسجمة المعاني،ولذلك كان سعيهم للبحث عن كيفية تماسكه .

تتمحور إشكالية البحث حول كيفية تماسك النص القرآني من خلال ما ورد في علوم القرآن ؟

وما هي أهم الآليات التي اعتمدها الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن ليبرز كيف تماسك النص القرآني؟

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق عدة أهداف منها :

ـــــ محاولة الكشف عن مظاهر وآليات تماسك النص القرآني من خلال ما ورد في كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي .

ـــ إبراز دور علماء القرآن في الدراسات النصية القديمة المتعلقة بدراسة القرآن الكريم والبحث عن مظاهر إعجازه .

ومن أجل الإجابة عن الإشكالية وتحقيقا للأهداف المرجوة اتبع البحث المنهج الوصفي وفق قدمته لسانيات النص من إجراءات وآليات لتحليل النصوص ودراستها .

2.التماسك النصي :

يعدّ التماسك من أهم الظواهر اللغوية التي اهتمت بها الدارسات النصية ، فقد "عده النصيون العمود الفقري لنظريتهم " (الوداعي عيسى جواد ، 2005 ، صفحة 35) ،وذلك لما له من أهمية في التحليل النصي؛ إذ يتعلق بمعياريين أساسيين من معايير النصية عند (دي بوجراند)؛ أحدهما يختص بالجوانب الشكلية في النص،والآخر يختص بالجوانب الدلالية، وكلاهما مكمل للآخر وهما الاتساق والانسجام :

1.2 الاتساق :

يقول (محمد خطابي): " يقصد عادة بالاتساق ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص ما،ويُهتم فيه بالوسائل اللغوية(الشكلية)" (خطابي محمد ، 1991م، صفحة 5) ،و عبر عنه (سعد مصلوح) بمصطلح (السبك)، حيث يقول:" يختص معيار السبك بالوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص، ونعني بظاهر النص الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني، والتي نخطها أو نراها بما هي كم متصل على صفحة الورق " (مصلوح سعد ، 1991م، صفحة 154) .

2.2 الانسجام

يسميه (سعد مصلوح) الحبك، وهو " يختص بالاستمرارية المتحققة في عالم النص، ونعني بها الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم" (مصلوح سعد 1991م، صفحة 154)، فالنص عبارة عن سلسلة من المعاني المعطاة، وترابط تلك المعاني يخضع لمجموعة من الوسائل والعلاقات، وقد اختلفت وجهات نظر اللغويين في تحديد الوسائل المحققة للانسجام

النصي،فهذا (روبيرت دي بوجراند) يرى أن وسائل الانسجام تشتمل على العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص... وكذلك معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف ، وهذه المعلومات يستنبطها المتلقي من سياق الموقف (دي بوجراند روبيرت ، 1998م ، صفحة 103) .

ولذلك فإن مفهوم التماسك النصي مبني على تحقيق الترابط بين عناصر النص على المستوى الشكلي الظاهري له ،وعلى المستوى الدلالي العميق، فلا يتحقق أحدهما دون الآخر وكلاهما يساهم في بناء الدلالة العامة للنص في ذهن المتلقي .

3.التماسك النصي من خلال علوم القرآن

نزل القرآن الكريم على سيدنا "محمد صلى الله عليه وسلم" منجما في أوقات وأماكن مختلفة ولأسباب مختلفة، وقد استغرق نزوله أكثر من عشرين سنة، ومع ذلك فعلماء القرآن يصفونه بأنه "كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني " (الزركشي بدر الدين ، 1984م، جزء 1 ، صفحة 36) ، وقد روي عن (فخر الدين الرازي) قوله:" القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه، فهو أيضا بسبب ترتيب ونظم آياته" (السيوطي جلال الدين ، جزء 2 ، صفحة 977)، ونقل عنه أيضا الزركشي قوله :" أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط " (الزركشي بدر الدين 1984 ، جزء 1 ، صفحة 36) ، أي أن إعجاز القرآن كامن في الترتيب ونظم الآيات،وفي هذا السياق يقول (عبد القاهر الجرجاني) عن العرب وموقفهم من القرآن الكريم : " تأملوه سورة سورة،وعشرا عشرا،وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة يُنكر شأنها، أو يُرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أحرى،أو أخلق ، بل وجدوا اتساقا بهر العقول، وأعجز الجمهور، ونظاما والتئاما،وإتقانا وإحكاما ..." (الجرجاني عبد القاهر ، 1984م، صفحة 89) ، وقد كان هذا إجابة عن السؤال الذي طرحه: ما الذي أعجز العرب في النص القرآني ؟ وردًا على القائلين بالصُّرفة، وأن الله صرف العرب وأعجزهم بقدرته عن الإتيان بمثل هذا القرآن.

إن علماء القرآن كان لهم الدور البارز في العديد من الممارسات النصية المتعلقة بالقرآن الكريم،"فعملهم يقوم أساسا على النظرة إلى النص القرآني كاملا، إلى درجة أنهم رأوا القرآن الكريم كالكلمة الواحدة ... فأكدوا تماسكه الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي والدلالي ... وأيضا أكدوا المناسبة بين حروف الكلمة الواحدة وكلمات الجملة الواحدة وجمل النص الواحد ونصوص القرآن كله كذلك " (الفقي صبحي إبراهيم، 2000م، صفحة 50) كما اهتموا أيضا بما يحيط به من مواقف متعلقة بنزوله فجاءت نظرتهم إليه شاملة .

لقد خصص (الزركشي) في كتابه (البرهان في علوم القرآن)مباحث متعلقة بترابط الآيات والسور وتماسكها ، وأوضح ما عبر به عن هذا التماسك هو مباحث علم المناسبات الذي يعد من أبرز المباحث التي تظهر من خلالها ملامح التماسك

النصي في القرآن الكريم، حيث يتضح من خلاله مدى ترابط النص القرآني وانسجامه وتماسك أجزائه (الألفاظ ، الآيات والسور) فيتحقق"ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحة متسقة المعاني منتظمة المباني " (الزركشي بدر الدين ، 1984م ،جزء 1 صفحة 36) .

4. التماسك النصي من خلال كتاب "البرهان في علوم القرآن" للزركشي

يهتم التماسك النصي بالبحث عم أهم العلاقات الرابطة بين أجزائه من الناحية الشكلية الظاهرية للنص ، أو من الناحية الدلالية العميقة له ،وبالتالي الاقتراب من المعنى الأصلي له .

وقد ضمن الزركشي مبدأ التماسك النّصي في علم المناسبات ، فبيّن ما يختص به القرآن الكريم من ترابط وانسجام بين أجزائه واصفا إياه بقوله :" فهو من تناسب ألفاظه ، وتناسق أغراضه ، قلادة ذات اتساق ،ومن تبسم زهره، وتنسم نشره ، حديقة مبهجة للنفوس والأسماع والأحداق ، كل كلمة منه لها من نفسها طرب ،ومن ذاتها عجب ،ومن طلعتها غرة ، ومن بهجتها درة ، لاحت عليه بهجة القدرة،ونزل ممن له الأمر، فله على كل كلام سلطان و إمرة ، بهر تمكّن فواصله ، وحسن ارتباط أواخره وأوائله،وبديع إشاراته وبديع انتقالاته ، من قصص باهرة إلى مواعظ زاجرة ، وأمثال سائرة ، وحكم زاهرة، وأدلة على التوحيد ظاهرة " (الزركشي بدر الدين ، 1984م ،جزء 1، صفحة 4) .

إن ما ذكره الزركشي يوحي بأنه على دراية تامة وعلم مبين بمدى تماسك أجزاء القرآن الكريم وانسجامها فيما بينها ، ولذلك خصص فصلا في مؤلفه للبحث عن أسرار هذا الانسجام والترابط ومن خلال ما أورده في علم المناسبات. ولما لهذا العلم من أهمية عظيمة نجد الزركشي يجعل فاتحة كتابه بعد التقديم حديثه عن أسباب النزول، وهي ما يعرف بسياق الخارجي للنص، و يُردفها بالتفصيل في معرفة المناسبات بين الآيات والسور.

1.4 مفهوم المناسبة

المناسبة لغة : إن الدلالة اللغوية للفظة المناسبة توحي بالاتصال والاقتران ؛ واتصال الشيئين يقتضي وجود علاقة تربط بينهما بأي وجه من الوجوه ، يقول (ابن فارس 395 هـ): " النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال الشيء بالشيء. منه النَّسب" (ابن فارس أحمد ، 2002م،جزء 5، ص 448).

اصطلاحا : علم مناسبات القرآن يُعنى " بالكشف عن الترابط اللفظي والمعنوي بين آي الذكر الحكيم وسوره " (عامر محمد ، 2011م، صفحة 9)، وتهتم بالبحث عن " وجه الارتباط بين الآية والآية التي تليها، والسورة و السورة التي تليها، وفاتحة السورة وخاتمتها ونحو ذلك. أو هي وجه ارتباط أجزاء القرآن بعضها ببعض." (الرومي فهد بن عبد الرحمن ، 2005م ، صفحة 447)

2.4 أنواع المناسبة عند الزركشي:

قسم الزركشي المناسبات إلى نوعين:

النوع الأول : المناسبة بين السور

بحث فيها عن العلاقات الرابطة بين السور المتتالية لاكتشاف الروابط الخفية التي تربط بين السورة والسورة التي تليها ، ورغم أن القرآن الكريم أنزل في أكثر من عشرين سنة ، وأنزلت سوره متفرقة ، إلا أن علماء القرآن يرون أن هناك علاقات رابطة بين سوره . وهم ينطلقون في ذلك من أن ترتيب سور القرآن توفيقي من الله عز وجل ، وبين أنك إن بحثت في " افتتاح كل سوره وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة التي قبلها " (الزركشي بدر الدين ، 1984م ،جزء 1، صفحة 38) .

سرد الزركشي مجموعة من الأمثلة على تناسب السور منها :

ـــ المناسبة بين فاتحة الأنعام وخاتمة المائدة : قال الزركشي :" افتتاح سورة الأنعام بالحمد ، فإنه مناسب لختام سورة المائدة من فصل القضاء" (الزركشي بدر الدين ، 1984م ،جزء 1، صفحة 38) ، فقد قال سبحانه في خاتمة المائدة : ((لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير)) سورة المائدة 120. وهذا مناسب لما جاء في الأنعام في فاتحة الأنعام في قوله تعالى: ((الحمد لله الذي خلق السموات وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون)) الأنعام ، الآية 01. وهذا مشابه في فصل القضاء فيما جاء في قوله تعالى في سورة الزمر: ((وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين)) سورة الزمر الآية 75.

ـــ افتتاح سورة فاطر بالحمد فإنه مناسب لخاتمة ما قبلها في قوله تعالى: ((وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا في شكّ مريب)) سورة سبأ 54 . ثم قال في سورة فاطرا معقبا على هذه الآية ((الحمد لله فاطر السموات والأرض)) سورة فاطر 01 .

ـــ افتتاح سورة الحديد بالتسبيح في قوله تعالى: ((سبّح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم)) سورة الحديد 01 ، فإنه مناسب لخاتمة الواقعة في الأمر به في قوله تعالى : ((فسبّح باسم ربّك العظيم))سورة الواقعة 96 .

ـــ المناسبة بين سورة البقرة وسورة الفاتحة فقال :" وكافتتاح سورة البقرة بقوله: ((ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)) إشارة إلى ((الصراط)) في قوله تعالى((اهدنا الصراط المستقيم)) ، كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط المستقيم قيل لهم : ذلك الصراط الذي سألتهم الهداية إليه هو الكتاب " (الزركشي بدر الدين ، 1984م ،جزء 1، صفحة 38) .

ـــ المناسبة بين الإسراء والكهف ؛قال :" وكذالك مناسبة فاتحة سورة الإسراء بالتسبيح وسورة الكهف بالتحميد ، لأن التسبيح حيث جاء مقدم على التحميد ؛ يقال : سبحان الله والحمد لله" (الزركشي بدر الدين ، 1984م ،جزء 1، صفحة 39) ، وذلك

في قول الله تعالى : ((سبحان الذي أسرى بعبده))سورة الإسراء 1 ، وقوله في فاتحة الكهف : ((الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب)) سورة الكهف 1 .

وغيرها من النماذج التي ذكرها في تناسب السور مع بعضها، ويكون التناسب أكثر وضوحا مع الآيات ليكون القرآن كله كالكلمة الواحدة في انسجامه وترابط أجزائه .

النوع الثاني : المناسبة بين الآيات

بين الزركشي أن ترابط آيات الذكر الحكيم من خلال علم المناسبات خاضع لعدة علاقات تبين وجه الترابط بينها منها: العموم و الخصوص ، الحسي والعقلي ، التلازم الذهني ، السبب والمسبب،العلة والمعلول ، النظيرين ، الضدين ، التلازم الخارجي ، الرتبة (الزركشي بدر الدين ، 1984م ،جزء 1،صفحة 35)، وغيرها من الروابط التي تظهر انسجام آيات القرآن الكريم مع بعضها من فاتحته إلى ختامه.

وقد فصل ارتباط الآيات بعضها ببعض إلى أنواع ؛ فإما أن يكون الارتباط ظاهرا لتعلق الكلام بعضه ببعض، أو أن يكون الكلام من باب التفسير أو التأكيد أو الاعتراض والتشديد ، وإما أن يكون الارتباط غير ظاهر، وتكون كل جملة مستقلة عن الأخرى (الزركشي بدر الدين، 1984م، جزء 1،صفحة 40) .

الارتباط الظاهر:

قدّم الزركشي في هذا النوع بعض الآليات الإجرائية لبيان واستنباط أوجه الترابط والانسجام والعلاقات بين الآيات .

علاقة العطف: أن تكون الآيات معطوفة ؛ ولا بد أن تكون لها جهة جامعة ، وفائدة العطف جعلها كالنظيرين والشريكين(الزركشي بدر الدين ، 1984م ،جزء 1، صفحة 40) . كقوله تعالى : ((يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها)) الحديد 04 .

علاقة المضادة : " كمناسبة ذكر الرحمة بعد العذاب والرغبة بعد الرهبة ، وعادة القرآن العظيم إذا ذكر أحكاما ذكر بعدها وعدا ووعيدا ليكون ذلك باعثا على العمل بما سبق؛ ثم يذكر آيات التوحيد والتنزيه؛ليعلم عظم الآمر والناهي"(الزركشي بدر الدين ، 1984م ،جزء 1، صفحة 40) .

الارتباط غير الظاهر :

قد يكون الارتباط بين الآيات غير ظاهر ، وعلى القارئ أو المفسر البحث عن الروابط الخفية التي تجمع بين الآيات ، وقد مثّل الزركشي في هذا المقام بآية الأهلة :

قال تعالى : ((يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحجّ وليس البرّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البرّ من اتقى واتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون)) البقرة 189.

بيّن الزركشي في استنباطه لأوجه الربط بين أحكام الأهلة وحكم إتيان البيوت من عدة وجوه :

الاستطراد : ذكر أن الأهلة مواقيت للحج " وكان هذا من أفعالهم في الحج ؛ ففي الحديث أن أناسا من الأنصار كانوا إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب ؛فإذا كان من أهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته ، منه يدخل ويخرج ن أو يتخذ سلما يصعد به . وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء ؛ فقيل لهم : ليس البرّ بتحرجكم من دخول الباب ؛ ولكن البرّ برّ من اتقى ما حرم الله،وكان من حقهم السؤال عن هذا وتركهم السؤال عن الأهلة . ونظيره في الزيادة على الجواب قوله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن المتوضئ بماء البحر فقال : هو الطهور ماؤه ، الحل ميتته"(الزركشي بدر الدين، 1984م ،جزء 1، صفحة 41) .

التمثيل : يقول الزركشي: "انه من باب التمثيل لما هم عليه من تعكيسهم في سؤالهم ؛ وأن مثلهم كمثل من يترك بابا ويدخل من ظهر البيت ؛ فقيل لهم : ليس البرّ ما أنتم عليه من تعكيس الأسئلة، ولكن البرّ من اتقى ذلك ، ثم قال سبحانه : ((واتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون)) أي باشروا الأمور من وجهها الذي يجب أن تباشر عليها ، ولا تعكسوا "(الزركشي بدر الدين ، 1984م ،جزء 1،صفحة 41) .

وقد أشار الزركشي إلى آلية أخرى من آليات الكشف عن الانسجام بين الآيات وإظهار الروابط التي تجمع بينها عندما يكون الارتباط غير ظاهر ؛ وهي حسن التخلص .

التخلص : ويتعلق بالانتقال من موضوع إلى آخر دون انقطاع الكلام ؛ قال الزركشي : " ومن أحسن أمثلته قوله تعالى: ((الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب ذرّي يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكلّ شيء عليم)) النور 35 . فإن فيها خمس تخلّصات : وذلك انه جاء بصفة النور وتمثيله ، ثم تخلص منه إلى ذكر الزجاجة وصفاتها ، ثم رجع إلى ذكر النور والزيتُ يستمد منه ، ثم تخلص منه إلى ذكر الشجرة ، ثم تخلص من ذكرها إلى صفة الزيت ، ثم تخلص من صفة الزيت إلى صفة النور وتضاعفه ، ثم تخلص منه إلى نعم الله بالهدى على من يشاء " (الزركشي بدر الدين ، 1984م ،جزء 1، صفحة 43) .

وقد ساق الزركشي الكثير من الآيات التي بين فيها وجه الترابط بينها من باب التخلص ؛ مثل قصة سليمان مع بلقيس في سورة النمل ، وقصة سيدنا يوسف ن وقصة سيدنا موسى عليه السلام ، وختم تلك النماذج بتفصيل وجه الربط بين الألفاظ في آية خلق الإبل ، وأرجع ذلك إلى العادة عند العرب .

الربط على مجرى الإلف والعادة :

تساءل الزركشي عن وجه الربط بين الإبل والسماء والجبال والأرض في قوله تعالى : ((أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال

كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت)) الغاشية 17/ 20 . ثم أجاب عن ذلك قائلا: "والجواب انه جمع بينها على مجرى الإلف والعادة بالنسبة لأهل والوبر، فإن كل انتفاعهم في معايشهم من الإبل ، فتكون عنايتهم مصروفة إليها ؛ ولا يحصل إلا بأن ترعى وتشرب ،؛ وذلك بنزول المطر ؛ وهو سبب تقلب وجوههم في السماء ، ثم لابد لهم من مأوى يؤويهم، وحصن يتحصنون به؛ ولا شيء من ذلك كالجبال ، ثم لا غنى لهم ـ لتعذر طول مكثهم في منزل ـ عن التنقل إلى أرض سواها ؛ فإذا نظر البدوي في خياله وجد صورة هذه الأشياء حاضرة فيه على الترتيب المذكور "(الزركشي بدر الدين ، 1984م ،جزء 1، صفحة 45) .وغيرها من الآيات الكثير التي بين فيها الزركشي أوجه المناسبة بينها ، وما لها من أهمية بارزة في بيان انسجام القرآن الكريم .

5. أهمية المناسبات ودورها في تماسك النص القرآني:

يقول (البقاعي) مبينا أهمية وفائدة علم المناسبات في الدراسات القرآنية : " وعلم المناسبات تعرف منه علل الترتيب وموضوعه أجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من حيث الترتيب ، وثمرته الإطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب" (البقاعي برهان الدين، 1969م، جزء 1، صفحة 5)، ويبين أن القرآن الكريم وحدة واحدة لا يمكن الفصل بين أجزائه.

وبيّن الزركشي أن للمناسبة دور بارز في بيان التماسك والترابط بين آي القرآن الكريم قائلا: "وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم ، المتلائم الأجزاء "(الزركشي بدر الدين ، 1984م ،جزء 1، صفحة 36)، ونقل عن أبي بكر بن العربي قوله في أهمية المناسبة: " ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المباني منتظمة المعاني ، علم عظيم "(الزركشي بدر الدين ، 1984م ،جزء 1، صفحة 36)، كما نقل عن عز الدين بن عبد السلام قوله: "المناسبة علم حسن، ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره "(الزركشي بدر الدين ، 1984م، جزء 1،صفحة 37)، فيكون القرآن كله منسجما متماسكا ، سواء بين الآيات في السورة الواحدة، أو بين السور المتتالية ، ويتضح ذلك من خلال المبادئ التي عرضها علماء القرآن في علم المناسبات بين الآيات والسور.

ويقول أيضا في سياق آخر مبينا دور المناسبة بين الآيات: "وقد تنزل الآيات على الأسباب الخاصة ، وتوضع كل واحدة مع ما يناسبها من الآي رعاية لنظم القرآن، وحسن السياق ، فذلك الذي وضعت معه الآية نازلة على سبب خاص للمناسبة ، إذا كان مسوقا لما نزل في معنى يدخل تحت ذلك اللفظ العام"(الزركشي بدر الدين ، 1984م ،جزء 1، صفحة 25) .

فإذا كان الزركشي يشبه الكلام المتماسك والنص المترابط بالبناء المحكم فلأن البناء المحكم يكون شديد التراص بين أجزائه المشكلة له ، فتكون على نسق واحد من البناء ، وكذلك النص القرآني ، فبيّن المبدأ الذي يقوم عليه علم المناسبة في بيان ترابط آيات القرآن الكريم ، فقال: " الذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكمّلة لما قبلها، أو مستقلة ، ثم المستقلة، ما وجه مناسبتها لما قبلها ؟ ففي ذلك علم جمّ ، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له"(الزركشي بدر الدين 1984م ،جزء 1، صفحة 37) .

وعليه فإن علم المناسبة يقوم على أساس البحث عن العلاقات الرابطة بين الآيات داخل السورة الواحدة ، وبين العلاقات الرابطة بين السور المتتالية ، ليبين أن القرآن بناء محكم في مبانيه ومعانيه .

6. خاتمة:

توصل البحث إلى النتائج التالية:

ـــ التراث العربي غني بالممارسات النصية التي تقترب من منهج لسانيات النص، وخاصة علوم القرآن التي تعتمد في تحليلها للنص القرآني على آليات إجرائية نصية كعلمي المناسبات وأسباب النزول .

ـــ يتحقق التماسك النصي من خلال ما ورد من آليات إجرائية في كتاب (البرهان في علوم القرآن) للزركشي والمتمثلة في معرفة أسباب النزول، ومعرفة المناسبات بين الآيات والمناسبات بين السور ، وكذلك بعض الإجراءات الأخرى التي اعتمدها للكشف على تماسك الآيات داخل السورة الواحدة على المستوى الظاهر مثل : العطف والمضادة ،وعلى المستوى غير الظاهر مثل : الاستطراد والتمثيل حسن التخلص والربط على الإلف والعادة، وكلها آليات تبين مدى تماسك النص القرآني من وجهة نظر الزركشي.

ـــ تتضافر هذه المبادئ للوصول إلى تحقيق التماسك الكلي للقرآن الكريم .

7. قائمة المراجع:

المؤلفات:

1 البقاعي برهان الدين إبراهيم بن عمر، (1969م) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق محمد عبد الحميد، دار الكتب الإسلامية ، القاهرة ، مصر .

2 الجرجاني عبد القاهر (1984م) دلائل الإعجاز ، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي،القاهرة مصر.

3 خطابي محمد (1991م) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي بيروت،ط1.

4 دي بوجراند روبيرت (1998م) النص والخطاب والإجراء ،ترجمة تمام حسان، عالم الكتب القاهرة ط1.

5 الرومي فهد بن عبد الرحمن بن سليمان(2005م) دراسات في علوم القرآن الكريم ،مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، السعودية.

6 الزركشي بدر الدين (1404هـ - 1984م) البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث للنشر، القاهرة ، مصر ، الطبعة الثالثة.

7 السيوطي جلال الدين.- الإتقان في علوم القرآن ، تقديم وتعليق أبو الحسن مصطفى ديب البغا، دار الهدى عين مليلة (الجزائر) .

8 بن فارس أحمد (1423هـ /2002 م) معجم مقاييس اللغة ،تحقيق عبد السلام هارون ، طبعة إتحاد الكتاب العرب .

9 الفقي صبحي إبراهيم (2000م) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية في السور المكية، دار قباء، القاهرة ط1.

10 الوداعي عيسى جواد (2005) التماسك النصي ،دراسة تطبيقية في نهج البلاغة ،رسالة دكتوراه الجامعة الأردنية.

الأطروحات:

عامر محمد (2011م) أثر المناسبة في توجيه المعنى في النص القرآني،أطروحة دكتوراه في فلسفة اللغة وآدابها،جامعة الكوفة ، العراق .

المقالات:

مصلوح سعد (1991) نحو أجرمية للنص الشعري ،دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول مجلد 10، عدد 1-2.